حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الامير محمد بن سعود واتحاده الى الوهابيين

صار الامر بعد سعود الى ابنه محمد وكان هذا رجلاً ذا عزم وإقدام حريصاً على السيادة راغباً في توسيع نطاق إمرته. فسار سيراً حسناً في قومه وابطل المظالم وألغى المكوس وألّف قلوب عشيرته ثم اخذ يسعى بمد سيطرته على قبائل نجد فأخضع منها قبائل العُتوب والعُزّة ووقف بالمرصاد لغيرها رجاء ان يستولي على كل جزيرة العرب

ففي تلك الاثناء قدم عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعرض عليه دينهُ واطمعهُ بملك جزيرة العرب اذا انتمى الى مذهبه. ومن قوله لهُ: «ايها الشيخ ان هذا هو الله ورسولهُ الذي لا شكَّ فيه فأبشر بالنصر ان انت عضدتني في دعوة الناس الى التوحيد فتكون لك السلطة التامة على بلاد نجد وغيرها ويستتبّ لك الحكم على سائر العرب واقوم انا بالدعوة الى الدين اذ لا تثبت الدول الّا بالسلطان والدين معاً». ثمَّ اشترط عليه شرطين: الاول ان يقوم مع انصاره بفريضة الجهاد في سبيل الله ولا يرحل عنهم ولا يستبدل منهم غيرهم. والثاني ان يأخذ الشيخ لنفسه وقت الثار خراجاً من أهل الدَّرْعية. فأيقظ هذا الكلام من ابن سعود حبّ الملك وأمل الرئاسة فما لبث ان طاوع ابن عبد الوهاب وقال له اشترط قائلاً: «اما الأولى فامدُدْ يدك». فمدَّها وقبضها ابن سعود فقال: «الدمُ بالدم والهدمُ بالهدم». اما الثانية فلعلَّ الله تعالى يفتح لك الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ما هو خير لك». ثم بايع صاحب الدعوة على الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى اقامة شعائر الاسلام فقرنهُ ابن سعود باحدى بناته وصارا يداً واحدة في السعي وراء تحقيق امانيهما

واستقرَّ منذ ذاك الحين ابن عبد الوهاب في الدرعيّة وتسمّى محمد بن سعود

بالامير وتبعهُ اهل الدرعية. ثم شاع الخبر بنصرة الامير للشيخ فاتى الدرعيَّة من كان ينتسب اليهما من روَّساء واعيان منهم اهل العُيَيْنة وروَّساء المعامرة وغيرهم. ثم جعل ابن عبد الوهاب يسعى للامام ابن سعود ويدعو اهل البلاد المجاورة وسائر القبائل والعشائر الى التوحيد والدين الاسلامي. صلحاً. فتألَّبت عليهِ بذلك الجماهير من العرب واخذت دائرته تتسع وجماعته تكثر يوماً فيوماً. وكان ذلك سنة ١٧٤٢ في عهد السلطان محمود الاول (١)

وكان من نتائج الدعوة الوهابية ان مصلح الحالة الدينية نفخ في اهل نجد روحاً اسلامية لم يعهدوها من قبلهِ لولا انَّ اصلاحهُ بلغ بهِ الى الغلو والافراط فاضحى تعصُّباً ذميماً. فكان الامام يعاقب اشدَّ العقابة كل من لم يؤدِّ الصلوات الخمس في اوقاتها او يلبس حريرًا او يتحلى بذهب او يشرب التبغ او يضرب آلة طرب او يرفع صوتهُ بغناء او يقضي الليل في السامرة بعد صلاة العشائين او يحلف بغير اسم الله. وكان اتخذ لهُ شورى متألفة من ٢٤ صاحباً يتجولون في احياء البلد ويوقفونهُ على ادنى مخالفة لهذه الفرائض فيوجب على المذنبين الحدّ ويضربهم بالسياط ويغرّمهم الغرائم الطائلة. وممَّا اقنعهم بهِ ان كل من لا يجري على هذه التعاليم من المسلمين هم مشركون تُعَدّ بلادهم كدار حرب تجوز محاربتهم وقتلهم وسَلب اموالهم ما لم يرعووا ويدينوا بدين ابن وهاب

اما محمد بن سعود فانهُ اخذ يجنّد الجند ويمرّنهم على القتال ومباغتة العدو ثم درَّبهم على مقاساة الجوع والعطش والعري وقطع البوادي القاحلة على الهجين يركبهُ الجنديان مترادفَين. وكان يرسلهم لمحاربة القبائل المخالفة فينقضُّون عليها انقضاض القشاعم فان أبَى اهلها من النجاة عوضوا عليهم الدين الوهابي فان أبوا أعملوا السيف في الرجال وسبوا الذراري وبقروا الحوامل وان رضوا عشَّروا اموالهم واخذوا العشر ايضاً من رجالهم كجند ينظمونهم في جيوشهم. فقويت بذلك شوكة ابن السعود واشتدَّ ساعده حتى اصبح اكبر امراء نجد. وكان ابنهُ عبد العزيز رئيساً على جيوشه فأيَّد بفتوحاته الدعوة الوهابية

---

(١) كان جلوسهُ على عرش بني عثمان سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ومات سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)

الوهابيون بعد محمد بن سعود

ثم توفي محمد بن سعود في ربيع سنة ١٧٦٥ فخلفهُ في امارته عبد العزيز وكان يشبه اباه بشجاعته وحسن سياسته وحرصه على نشر التعاليم الوهابية بالجهاد ولهُ الفتوحات العديدة منها مدينة رياض عاصمة السيد دهام بن دوّاس من اعيان شيوخ الجزيرة. دخلها بعد معارك طويلة سنة ٧٧٢ . ومن مآثره وقوفه في وجه اعدائه من حلفاء العرب والاتراك. فانهم ساروا بجيوش جرّارة لمحاربة الوهابيين وكادوا ينالون منهم لولا دهاؤهم وثباتهم وسرعتهم في جمع شتاتهم بعد انكسارهم. ثم كرّوا على بلاد الأحساء وشتتوا شمل سعدون صاحبها واستولوا على عاصمتها الدلم سنة ١٧٨٣

فزادهم هذا الفوز بأساً ودخلوا اطراف الحجاز ونهبوا قوافل الحجّاج وتهدّدوا حواضر البلاد. وكان محمد بن عبد الوهاب لا يزال في قيد الحياة يبعث في القلوب التحمّس الديني. وكان من اقوى أنصار سعود بن عبد العزيز فمنّهُ ابوهُ سنة ١٧٨٧ كخلف لهُ بعد وفاته فبايعهُ على ذلك رؤساء البلاد الوهابية. وكانت وفاة محمد ابن عبد الوهّاب في ٢٠ حزيران ١٧٩٢ طاعناً في السنّ معمّراً خمساً وتسعين سنة. وقام بعدهُ في امامة الوهابيين وقضائهم الامام حسين ابنهُ وتقفّى آثار والده

عز الوهابيين وذروة مجدهم

في هذا الزمان بلغ الوهابيّون اوج عزّهم . فانّهم بعد ان بسطوا على نجد ظلّ دينهم طمحوا ببصرهم الى ما وراء حدوده من الجزيرة العربية فكانوا كلّ يوم يزيدون سطوة ويوسعون دائرة ملكهم ثم أخذوا يرسلون الوفود والدُّعاة الى قبائل الشام والحجاز واليمن ليعرضوا عليهم مذهبهم منددين بالاتراك والشرفاء والفقهاء وناسبين اليهم تشويه الدين الاسلامي

فاثارت هذه الاعمال احقاد المسلمين ولا سيما شريف مكة السيد غالب فلم يرَ بدًّا من استنهاض همم القبائل الجنوبية والاستنجاد بقوى الدولة فدعاهم الى الجهاد فاحتشدت عدة قبائل موالية للدولة كالخثير وبني شمّر والمُنتفق. وتحفّز والي بغداد

سليمان باشا لمحاربة الوهابيين فاخذ يجنّد الجنود ويمدّ الذخائر غير ان هذه العُدَد لم يتمّ استحضارها الّا بعد زمن طويل في السنة ١٧٩٧ فسارت الجنود العثمانية والعرب المحالفون وفي صحبتهم الذخائر الحربية من مدافع واسلحة لكن هذه الحملة بعد بلوغها الى بلاد الوهابيين لم تَفُزْ بالظفر المأمول لتفرّق كلمة الحلفاء وما أصابهم في الصحاري القاحلة من العطش والضنك الشديد بينما كان العدوّ واقفاً لهم بالمرصاد يناوشهم القتال ويحول بينهم والمياه العذبة او يطمّ الآبار او يفسد مياهها بالمواد السامّة او القذرة حتى اضطرّ علي بك كاخيه سليمان باشا والسرعسكر الى ان يصالح الوهابيين فتفرّق العرب دون طائل. بعد ان قتل احدُ الوهابيين قائدهم الشريفي

دخول الوهابيين كربلاء

كان خذلان العرب المتحالفين لمحاربة الوهابيين داعياً جديداً لتحمّس احزابهم فما لبثوا ان جمعوا غزاتهم سنة ١٨٠١ وحملوا كالاسود الضارية على كربلاء مَقدس اهل الشيعة في عدد ١٥،٠٠٠ فدخلوها بغتةً وقتلوا رجالها واولادها ككفّار وبقروا نساءها الحوامل ثم انتهكوا حمى مشهد الامام حسين فنهبوا ما فيه من الكنوز والجواهر الثمينة التي كان انصار الشيعة خزنوها هناك منذ مئين من السنين اكراماً لوليّهم ثم هدموا المشهد وعادوا الى بلادهم بالغنائم البالغة حمل مئتي جمل

حملة الوهابيين على الحجاز

كان لعمل الوهابيين في مشهد الامام حسين اسوأ وقع في قلب عموم المسلمين وخصوصاً في اهل العجم فقاموا وقعدوا يريدون محاربة الوهابيين وقتلهم عن بكرة ابيهم. فتأهّب للجهاد ملك ايران فتح الله شاه والي بغداد سليمان باشا واعدّ الاتراك حملة عظيمة ليوقعوا بالوهابيين في ديارهم ويلحقوا بالدقماء مدينتهم الدرعية. على ان ذاك التحمّس خمدت جمرتهُ بعد قليل ولم يأتِ بنتيجة تُذكر لان المتحالفين اضاعوا وقتاً طويلاً بإعداد حملتهم حتى ضجر الكثيرون. ثم لم يحسنوا تنظيم حركاتهم وتوحيد كلمتهم فتضعضعت قواهم. واذ وقعت في تلك الاثناء الحرب المسكوبية مع

الدولة وأخلد الاكراد الى الفتن في جهات الموصل تركوا الوهابيين وشأنهم وصرفوا افكارهم الى سواهم

فلما رأى الوهابيون ان الجوَّ صفا لهم ولم يبقَ في طريقهم معارض ارخوا العنان لطامعهم ولم يعودوا يقفون عند حدّ ففكروا في فتح اليمن والحرمين فارسل عبد العزيز حليفهُ المسمَّى ابا نقطة شيخ بني عسير ايستولي على انحاء اليمن فسار اليها وتحت امرهِ رجال من عرب القبائل الجبلية ذوو بأس وقوَّة فاحتلَّ معهم كل سواحل اليمن الى مُخاء. امَّا ابنهُ سعود فوجَّه الى الحجاز

وكان حينئذٍ على مكة الشريف غالب فسعى بان يوقظ الاتراك من سِنتهم ليساعدوهُ في كسر شوكة الوهابيين لكن صراخهُ لم يلقَ صدى عندهم فاتَّكل على نفسهِ واستعدَّ للدفاع عن المدينة. فجاءت سَريَّة من الوهابيين عليها عثمان المضايفي شيخ بني عدوان لفتح مدينة الطائف على مرحلة من مكة وهي مدينة طيبة الهواء حسنة الموقع كثيرة الثمار يصطاف فيها المكيون من اهل الثروة فحاصرها ودخلها بعد مقاومة عنيفة حملت الوهابيين على قتل سائر سكانها ونهب اموالها وتدمير ابنيتها. ثم سار الى سواحل البحر فتح مدينة قنفذة ونكص على اعقابهِ فضمَّ قواه الى جيش سعود لمحاربة مكة سنة ١٨٠٢

فتح مكة وقتل عبد العزيز

اقشعرَّت ابدان المكيين هلعاً لِما بلغهم من معاملة الوهابيين لاهل الطائف وعوَّلوا على طلب الامان منهم. امَّا الشريف غالب فآثر محاربتهم وخرج لقتالهم فاوقفهم مدَّة عن المسير لكنهم ضاعفوا قواهم وقطعوا الماء الشروب عن اهل مكة فلم يبقَ لهم غير الماء الأُجاج من الآبار ثم غابت عليهم المجاعة حتى تزاحموا على اكل الكلاب والهررة وكادوا يثبون على الشريف لولا انهُ استدرك الامر وخرج من البلد هارباً الى جدَّة. فصارت مكة تحت رحمة الوهابيين واذ كان عبد الله باشا امير حجَّاج الشام قد قدم الى زيارة المناسك الدينية قُضي عليهِ بطلب الرخصة من الوهابيين فسمح الامير سعود لجموعه باقام فرائض الحجّ لكنَّهُ اشترط عليهم ان يقفلوا عائدين الى بلادهم بعد ثلاثة ايَّام

فلما برحوا مكة دخلها الوهابيُّون في تموز ١٨٠٣ وتملَّكوها واقام الامير سعود حاكماً على اهلها عبدَ المعين اخا الشريف غالب ثمَّ قضى بالاعدام على بعض اعيان المدينة ونزع عن المساجد حليَّها وهدم كل القبب والمشاهد وجرَّد الكعبة من المحمل الذي يكسوها وقلَّد القضاء احد علماء الوهابيين يدعى ابن نعمة فسلك بينهم نهج السلوك حتى ضُرب المثل بعدله

ثم سار سعود الى جدَّة لمحاربة الشريف غالب لكنها عصت عليه فلم يقوَ على فتحها لمناعتها. وكذلك المدينة ارسل اليها فرقاً من جنده لم ينالوا منها فاضطرُّوا الى الرجوع عنها بعد ان فشا بينهم داء الطاعون

وفي تلك الغضون هجم على عبد العزيز في الدِّرعية رجل من الاعاجم وقيل رفاضيّ من العماديَّة كان الوهابيُّون قتلوا اولادهُ يوم غزوهم لكربلاء فتظاهر بالمذهب الوهابي سنةً في الدرعية حتى أمكنتهُ الفرصة من أخذ ثأره فضرب الاميرَ بمدية وقت صلاة العصر في ٣ ت٢ سنة ١٨٠٣ فقتله فالتفَّ الجمع على القاتل واحرقوه بالنار وكان عبد العزيز بلغ الثانية والثمانين من عمره. وكان الوهابيُّون يثنون على عدله ونزاهته وحسن تدبيره لامورهم وتُقاه في اقامة سنن الدين على مقتضى التعاليم الوهابية

فدعت هذه الاحوال الامير سعود وجماعته الى ان يتخلَّوا عن الحجاز ويعودوا الى نجد. فانتهز المكيون هذه الفرصة واجتمعوا على حامية الوهابيين وكان عددهم نحو المائتين فقتلوهم واعادوا من جدَّة الشريف غالباً فتنازل لهُ اخوهُ عن امارته

امارة سعود بن عبد العزيز

قبض الامير سعود على زمام التدبير بعد ابيه وآلى على نفسه ان يبسط حكم الوهابيين على كل جزيرة العرب. فحشد جيشاً عرمرماً وسار الى البحرين وديار الجوامس فدخلها ظافراً وتهدَّد العراق. فعهدت الدولة العثمانية الى ولاة بغداد ودمشق وجدَّة قطع دابر الوهابيين فانتدبوا لذلك رؤساء الاكراد وشيوخ قبائل العرب وانضمَّ اليهم سلطان مسقط مع قوَّاته البريَّة والبحريَّة. ولكن هذه البعثة انتهت كالحملة السابقة بالفشل والخذلان لشتات شمل الحلفاء بعد تفرُّق كلمتهم وعجزهم عن التدبير وسوء تصرُّفهم. فاندفع الوهابيون في اثرهم كالسيل الجحاف وتوغَّلوا في ولاية البصرة فاشبعوا اهلها قتلاً وسلباً

الامير سعود وملكه على الحجاز

ثمَّ بثَّ الوهابيُّون قواهم في سواحل خليج العجم غربيَّهُ فملكوا مع البحرين الاحساء ومسقط وعُمان واضطرُّوا قبائل العرب المستوطنة فيها الى الرضوخ لشريعتهم شاؤوا أم أبوا

وفي السنة ١٨٠٥ اعلن سعود بانهُ حان الوقت لبسط يده نهائيا على أمَّهات الحجاز فسار بجموعهِ واحتلَّ مكة دون مقاومة لان الشريف غالباً اخذ يتظاهر بالمذهب الوهابي ويؤلف قلوب الوهابيين بما يرسله من حين الى آخر من الهدايا والالطاف الى اميرهم . فدخل سعود المدينة وعامل اهلهـا بالرفق هذه المرَّة وعافاهم عن الضرائب المألوفة ثم أدَّى مع قومهِ فرائض الحجّ لكنهُ تشدد في منع كل ما يحرّمهُ الوهابيون وابطل كل التقاليد التي استُحدثت بعد نبي الاسلام وخلفائهِ الراشدين واثبت الشريف غالباً في منصبه

ثم خرج من مكة الى المدينة فدخلها بعـد مناوشات قليلة مع البعض من سكانها . ولعلمهِ بموالاة اهلها الاتراك وتفورهم عن مذهبهِ لم يرعَ لهم جانباً فنفى منها عمَّال الدولة وطرد حجَّاجهم وسلَّم تدبير البلد الى شيخ بني حرب المدعو الشيخ مذين وقرَّر على الاهلين دفع المكوس والضرائب . ثم جرَّد قبر نبي الاسلام من كل زينتهِ وحاول هدم قبَّتهِ وعرض للبيع ما كان فيهِ من الجواهر الكريمـة وذوَّب آنيتهُ الذهبية فضمَّها نقوداً وفرَّقها على اصحابهِ ومنع من اكرام الانبياء ومن شرب التبغ . قيل انهُ بلغهُ ان امرأة من المدينة شربت النارجيلة فأمر أن يطاف بها في احياء البلد راكبةً على حمار وفي يدها النارجيلة وعنقُهـا مطوَّق بتاربيجها . وكان لا يسمح للحجاج اذا زاروا المدينة الَّا بالصلاة في جامع النبي دون اكرام قبره . وكان اذا وجد بينهم اتراكاً خفَّف لحاهم اسوةً بلحية نبي المسلمين

ملك الوهابيين على اليمن

وكما خضع الحجاز لحكم الوهابيين كذلك اليمن لم يرَ اهلهُ بدًّا من متابعتهم على مذهبهم . فانَّ ابا نقطة الوهابي شيخ العيد بعد احتـلاله سواحل اليمن تحفَّز للولوج

في داخل البلاد. وكان على اليمن شريف يدعى حمودًا فهذا تصدَّى لابي نقطة وجاهر بكراهته للمذهب الوهابي وتحصَّن في حاضرته. غير ان الوهابيين صدقوا في الحملة عليه وهزموه واحتلوا بلاده وفتحوا مدينتَي لُحَيَّة وحديدة من اغنى مدن اليمن فنهبوهما الى ان جاءهم الشريف حمود خاضعاً ذليلًا منتمياً الى التعاليم الوهابية سنة ١٨٠٥

وبخضوع اليمن كاد الوهابيون يبسطون سيطرتهم على كافة انحاء الجزيرة اذ امتدَّ ملكهم من شمالي وغربي نجد الى خليج العجم ومن بادية الشام الى البحر الاحمر. وصار الحج تحت رحمتهم لا يأذنون للحجَّاج بدخول الحرمين الَّا بعد دفع المبالغ الوافرة وتحت شروط حرجة يشرطونها عليهم لا سيما على أصحاب السُّنَّة بغضاً بالاتراك

وهكذا استمرَّت جزيرة العرب عشر سنوات تحت نير الوهابيين يُشيعون فيها مذهبهم ويحاربون كل من عارضهم. وفي السنة ١٨٠٧ طمعوا في نهب مشهد علي في نجف كما فعلوا في مشهد حسين في كربلاء. وارتكبوا ان يفوزوا بالمرام لولا خطبةٌ جاهر بها قائدهم ليلًا قبل هجومهم على المشهد فسمع صوتهُ بعض الحرس واسرع الى الاهلين ينذرهم بما يتهدَّدهم فتراكضوا مدجَّجين بالسلاح وخلَّصوا المشهد والبلد من ايديهم

لكنهم في العام المقبل اعتاض الوهابيون عن هذه الخيبة اذ تقدموا الى جهات الرقَّة وفتحوا مدينة عانة على الفرات ونهبوها نهباً قبيحاً. ومنهم من سار الى حوران واستباحوا فوق عشرين من قراها. ثمَّ توجَّهوا الى دمشق وارادوا احتلالها لولا ان يوسف باشا واليها ارضاهم بمال اداهُ لهم فاكتفوا بوضع يدهم على ارباض المدينة وعلى غلَّات الغوطة المتوفرة

واتَّفق الوهابيون مع الجواسم فعمَّروا عدَّة سفن في خليج العجم ركبها قرصانُهم لتوقيف المراكب المبحرة وفتح مدن السواحل. لكن الانكليز ارسلوا اسطولًا لمحاربتهم وشتَّتوا شملهم. وكذلك قبائل المنتفق المحالفة للدولة العثمانية ردُّوا غاراتهم عن العراق بعد ان اجتمعوا لفتح البصرة وسلبوا كل غلَّات نخيلها

خروج المصريين على الوهابيين

ضاق ذرع بني عثمان في محاربة الوهابيين ورأى السلطان محمود خان الثاني ان

ولاة العراق والشام والحجاز قاصرون عن قمع شوكتهم فالتجأ الى محمد علي باشا عامل الدولة اذ ذاك على مصر . فاجاب الى طلب السلطان واستبشر خيرًا لما سينالهُ بفتح الحرمَين من الفخر ومن توطيد ملكه على مصر . لكنهُ لم يشأ ان يبتعد عن القطر المصري خوفًا من المماليك العُصاة وهو في شك من استئصال شأفتهم بالمكيدة . فولّى ابنهُ طوسون على عسكرية اعدّها لمحاربة الوهابيين . فسار طوسون باشا وعمرهُ اذ ذاك لا يزيد على ١٦ سنة وتحت امرهِ ٦٠٠٠ جندي من البياده وألفان من السواري مع عدد من الطوبجية . فلقيهم الوهابيون قبل وصولهم الى المدينة عند مضيق حُدَيدة فكسروهم وأخذوا منهم سبعة مدافع

فرجع طوسون باشا الى ينبُع وانتظر ما وُعد به من المدد . وفي تلك الاثناء جاءه احد كبار الوهابيين المدعو ابن شديد كان سعود عزلهُ عن رتبتهِ فنقم على قومهِ وانتقل الى خدمة المصريين . فرحّب بهِ طوسون باشا وجعلهُ على قسم من عسكره فسعى ابن شديد لدى بعض القبائل الوهابية فردّها الى خدمة الدولة

ثم اتى المدد المطلوب من مصر وحصل طوسون على عسكر جرار تولى تدبيرهُ فسار الى المدينة دون ان يلقى في طريقهِ معارضًا ولم يكفّ عن محاصرتها الى ان فتحها بعد شهرين في اواخر سنة ١٨١٢ . ثم زحف المصريون تحت امر مصطفى بك حمي محمد علي باشا الى مكة فلم يقوَ عبد الله ابن الامير سعود قائد الجيش الوهابي على محاربتهم فولّى هاربًا وتمّ فتح مكة

ثم مشى مصطفى بك بجيشهِ الى طائف وعليها من قبل الوهابيين عثمان المضايفي فانهزم من وجههِ وما لبث ان اسرهُ وانفذ بهِ الى الاستانة فقُتل هناك

انتصار الوهابيين . وفاة الامير سعود

نشط المصريون بعد انتصاراتهم فهمّوا ان يتوغلوا في البلاد الوهابية فقصد مصطفى بك فتح مدينة الطرّابة وكان الوهابيون احكموا تحصينها وعيّنوا حاكمًا عليها فيصلًا ابن الامير سعود . فخرجوا من المدينة وحاربوا المصريين وكانت في مقدّمتهم امرأة تدعى غالبة زوجة شيخ قبيلة صبيح تهزج وتهوّس القوم فأبلوا البلاء الحسن وكسروا المصريين وضبطوا كل اثقالهم واسلحتهم

وكذلك فشل طوسون باشا في حصار مدينة الطرّابة لصعوبة ورود المؤونة والذخائر اليه فقضى عليه الامر بالرجوع القهقرى بعد ان حرق الاثقال والخيم وذاق الامرّين في طريقه. وكان الوهابيون على خلاف ذلك عزّزوا قواهم وعادوا الى الحجاز وفتح الامير سعود مدينة الخناكيّة وعزم على استرجاع المدينة المنوّرة. وسارت سريّة أخرى الى سواحل بحر القلزم واستردّت مدينة قنفذة بعد طردها جيش زعيم ارغاز قائد المصريين ثم قصدت الطائف لمحاصرة طوسون باشا

فلما بلغت هذه الاخبار مسامع محمد علي باشا استفزّتهُ الحميّة فخرج بنفسه الى الحجاز والبحر الى جدّة في اواخر آب سنة ١٨١٣ ولم يألُ جهدًا في إعداد كل ما يلزم ليضرب الوهابيين ضربة قاضية. فاخذ ينشط جنود الدولة ويتحفهم بالتحف الحسنة ويؤلف قلوبهم بالوظائف. وكان قدومه أوقع الرعب في أعدائه فانفصل فيصل عن الطائف واسترجع المصريون قنفذة

وقد ساعدتهم الاقدار بموت الامير سعود بغتةً بداء الزّحار في ٢٨ نيسان ١٨١٤ وهذا الامير هو الذي بلّغ الوهابيين الى ذروة مجدهم وكان عالمًا بمذهبهم فصيح اللسان ذا هيبة ووقار وادب وحسن عشرة وكان محبوباً من رعيّته لعدله ونزاهته وإقدامه في الحرب.

الامير عبد الله — فوز المصريين

قام بامر الوهابيين بعد سعود ابنهُ البكر عبد الله وعكف على مجاراة ابيه والاقتداء بآثاره الّا ان الاحوال لم توافقهُ ولا سيما ان اخوتهُ اخذوا ينازعونهُ الامارة فتفرّقت كلمتهم وانقسمت القبائل بينهم وارتدّ بعضها عنهم فلحقت بالمصريين

وأول شيء باشر به محمد علي باشا انهُ ضمّ قواه الى قوى ابنه طوسون ثم اجمعا رأيهما على محاربة الوهابيين في قلب دولتهم في نجد. فسار طوسون باشا بخيله ورجله ومدافعه الى بلاد القصيم فبلغها دون معارض وحاصر شنانة احدى حواضر الوهابيين ففتحها عنوةً بعد يومين فقط. فكان لهذا النبأ وقع سيّء في المدن المجاورة وخاف اهل الرسّ سقوط مدينتهم فارسلوا وفدًا الى طوسون طالبين الامان

ولم تزل أقدام المصريين تزيد ثباتًا ورسوخًا في جهات نجد حتى احسّ الامير

عبدالله بخروج مقامه فطلب عقد الصلح مع الدولة العثمانية مُقرًّا لدى محمد علي باشا بحكمها عليه . وكان بين شروط المعاهدة ان تخرج الجيوش المصرية من نجد وان يذهب الامير عبدالله الى الاستانة ليقدّم خضوعهُ للسلطان فرضي بذلك

نكث الوهابيين لوعدهم — همّة ابرهيم باشا ونصرته

لمّا اخلى المصريون جزيرة العرب اخلف الامير عبدالله وعدهُ بالرحلة الى عاصمة الدولة العثمانيّة . واذ ألحّ عليه محمد علي باشا ليقوم بواجبه وتهدّده باستئناف الحرب اصرَّ عبدالله على الإباء وشرع يحضّ الدرعيّة حاضرتهُ ليردّ عنها غارات المصريين . فكان نكث الامير لعهده داعياً لعودة المصريين الى جزيرة العرب

فجنّد محمد علي باشا الجنود وسلّم تدبير حملة جديدة الى ابنه وليّ عهده ابرهيم باشا الشهير في قطرنا السوري . فما كان منه الّا ان ابحر الى ينبع في اواخر ايلول سنة ١٨١٦ ثم صار الى المدينة فدخلها وواصل المسير الى الحناكيّة فالتقى بجيش الوهابيين فكسرهُ بعد المعارك الدامية ثمّ جدّ بسيره حتى بلغ نجداً وحاصر مدينة الرسّ واخذ اهلها بالمخنّق مدّة ثلثة اشهر حتى اعياهم الامر فطلبوا الامان . فجاوزها الى مدينتي الخبزاء وعنيزة فضربهما بالمدفع وفتحهما ثم استولى على بُريدة في آذار ١٨١٨ ووصل اخيرًا الى الدرعية مركز الوهابيين وكعبتهم . فقاتلوهُ اشدَّ القتال وصبروا على حملاته المتوالية الى ٩ ايلول ١٨١٨ حيث أيس الامير عبدالله من نجاة المدينة فطلب الهدنة ثم سلّم نفسهُ في ايدي ابراهيم باشا الذي احسن اليهِ وأرسلهُ مخفوراً الى مصر فوجّهه محمد علي باشا الى الاستانة فأمر السلطان محمود بقطع رأسه في ك ١ سنة ١٨١٨

واحتلّ المصريّونَ الدرعية فهدموا بامر محمّد علي اسوارها وحصونها واحرقوا بيوتها . فهاجر اهلها الى رياض الّا قسماً منهم تولّى تدبيرهم اسماعيل باشا الذي أُقيمَ حاكماً على الدرعية وسائر مدن نجد وتحت حكمه فئات من الجنود لحراستها

(لهُ بقيّة)